مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثاني عشر – العدد الثاني ، ص21–58 يونيو 2004

النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز
في الجاهلية وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

رياض مصطفى أحمد شاهين
قسم التاريـــخ الإسلامـــي – الجامعة الإسلامية
ص.ب: 108 ، غــزة – فلســطين

ملخص: تناولت بالدراسة موضوع النشاط الاقتصادي لليهود في الحجاز قبل الإسلام وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم لما لهذا الجانب من أهمية، وخصوصاً لفهم الموقف الحاسم الذي اتخذه الرسول محمد صـــلى الله عليه وسلم من هؤلاء اليهود، والذي انتهى أخيراً بإجلائهم عن مراكزهم، والقضاء على تجمعاتهم. حيث أن للعامل الاقتصادي أهمية لا تقل عن أهمية العامل الديني في الصراع الذي نشب بين اليهود والمســلمين، فلقد رأى اليهود أن مجيء الإسلام وحلوله بين ظهرانيهم في المدينة هو نهاية نفوذهم ومكاسبهم الاقتصـــادية التي حققوها طوال الفترات السابقة.ولقد حاولت في بحثي هذا أن أتطرق في البداية للوجود اليهـــودي فـــي الحجاز حيث تناولت موقع الحجاز، ودلالات هذا الموقع لموطن هؤلاء اليهود، مبيناً أن اليهـــود اســـتوطنوا بالأصل مناطق الواحات التي تمتاز بمياهها الكثيرة وتربتها الخصبة، مما جعل منها محطات مهمـــة علـــى طرق القوافل التجارية، بالإضافة إلى أن ذلك أتاح لليهود ممارسة مهنة الزراعة.

وتناولت أيضاً فعاليات اليهود الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، والتي كانوا يمارسونها فـــي المدينـــة المنورة، مما جعلها مجتمع الموارد المتنوعة، لم يطغ فيها جانب من الجوانب الاقتصادية على الآخر.

وأخيراً تحدثت عن العلاقات الاقتصادية التي تربط اليهود مع التجمعات السكانية الأخـــرى التي تسكن المدينة وهم الأوس والخزرج، وأثر ذلك الجانب الاقتصادي في خلـــق وإذكـــاء التنافس الواقع بين الطرفين، وحاولت أن أربط بينها وبين مواقـــف الأطـــراف الخارجيـــة خلال هذه الفترة.

Study Title: Jews' Economic Activity in Hijaz Prior to Islam

Abstract: This current study concerns itself with the Jews' economic activity in Hijaz prior to Islam because of the importance of this aspect, especially for understanding the decisive situation which Prophet Mohammed **(PBUH)** took against those Jews. This decision,which eventually led to the Jew's evacuation from their positions and abolishing their communities. As the economic factor has an equal importance to the religious factor in the dispute that broke out between the

Moslems and the Jews. The Jews felt that the advent of Islam and it's spreading in Al-Madina represented the termination of their dominance and economic privileges which they had achieved throughout previous eras .
In this study, the researcher has tried to trace the beginnings of the Jewish existence in Hijaz, as he referred to the location of Hijaz and the implications of such location for the existence of the Jews. The study also reveals that the Jews originally settled in the oasis areas, which are characterized by the abundance of their water and fertility of their soil, a thing which had made these oases important ports of calls for commercial convoys, in addition to enabling the Jews to practice agriculture.
The study also highlights the Jews' economic activities such as agriculture, industry and trade which they practised in the City of Madinah. In this way the medina was made the hub of various resources, where no one factor outshaded the others.
Finally, the study points out the economic relationships which connected the Jews with other population which inhabited the Medina such as Aus and Khazraj, and the influence of this economic aspect on creating and waging the competition and struggle between the two side. The researcher has also tried to connect between this economic aspect and the outsiders' positions during that period.

الوجــود اليهــودي في الحجــاز

أ – موقع الحجاز

لا بد لنا قبل الدخول في تفصيلات الوجود اليهودي في الحجاز من تحديد الإطار الجغرافي لإقليم الحجاز لما لهذا الموقع من انعكاس على دور هذا الإقليم والفعاليات الاقتصادية، التي مارسها سكانه، سواء التجارة أو الزراعة.

والذي يلاحظ من الوصف الجغرافي الذي تقدمه لنا كتب الجغرافيا الإسلامية بأن حدوده لم تكن ثابتة، وغالباً ما تتداخل هذه الحدود بينه وبين أقاليم شبه الجزيرة العربية الأخرى وهي تهامة والعروض واليمن بالإضافة إلى الحجاز[1]، فمن ناحية الامتداد الجغرافي للحجاز نلاحظ بأنه كان يمتد شمالاً حتى تبوك، ويتراجع من الناحية الجنوبية إلى ما وراء مدينة يثرب[2]. وفي بعض الأحيان تدخل مدينة يثرب مع منطقة نجد المجاورة لها[3]. كما تضاف اليمامة إلى الحجاز مع مكة والطائف[4]. ويكاد معظم الجغرافيين يتفقون على أن الحجاز هي المنطقة المحصورة بين تهامة ونجد[5] والممتدة على محاذاة البحر الأحمر من العقبة شمالاً وحتى عسير جنوباً وهي عبارة عن سلسلة جبال تعرف بجبال السراة[6]. ويتمشى مع هذا التحديد ما حدده القزويني حيث يقول "بأنه حاجز بين الشام واليمن وهو مسيرة شهر"[7]، وتحديد المسعودي الذي يحدده بقوله "إنه حاجز بين اليمن

والشام والتهائم"[8]. والهمداني "وهو ما حجز بين الشام واليمن"[9] وما يصفه البكري "ما احتجز به في شرقية من الجبال، وانحاز إلى ناحيته بين الجبلين" آجا وسلمى" إلى المدينة. ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيّد، فذلك كله الحجاز "[10].

مما سبق نستنتج أن شبه الجزيرة العربية تتمتع بموقع فريد في وسط العالم القديم مما ترتب عليه تشابه في النمط الاجتماعي والاقتصادي ، بين بلاد الحجاز وبين العالم المحيط بها ،هذا الموقع قد مكن العرب من التعرف على بعض معطيات الحضارات المجاورة ، كما حصنهم من الأطماع الخارجية ، أضف إلى ذلك الفوائد الاقتصادية والاستراتيجية التي عادت عليها من أطلالها على مياه كثيرة ، فمن الغرب تحيط بها مياه البحر الاحمر ، ، كما اتاح لها وقوعها بين الشام واليمن ان تكون الطريق التجاري الذي يربط بينهما وهو ما تحدث عنه القران في رحلتي الصيف والشتاء .

ويشتمل الحجاز على عدة مدن أهمها مدينة مكة ومدينة يثرب، والطائف، وخيبر، ووادي القرى. ولقد لعبت الاعتبارات الجغرافية والدوافع الاقتصادية دوراً كبيراً في نشوء هذه المدن الحجازية وتطورها. فمن الحجاز كان يمر أحد الروافد الأساسية للتجارة وطريق مهم في طرق التجارة البرية المعروفة في تلك الفترة، وهو الطريق الذي يبتدئ من موانئ اليمن جنوباً مخترقاً تهامة الحجاز ماراً بمكة ويثرب حتى يصل إلى أيلة على خليج العقبة ثم موانئ البحر المتوسط شرقاً[11].

وبعد الحصار الذي لحق بتدّمر على أيدي الرومان وتراجعها عن الدور الذي كانت تلعبه في السابق. كان هذا فرصة للعرب في الجزيرة بأن يسيطروا تدريجياً على هذا الطريق، وساعدهم على ذلك معرفتهم بالبادية ودروبها، وتعودهم على الحياة فيها. كما ساعدهم على ذلك أيضاً نوعية الحيوان الذي يركبونه، فالجمل هو الحيوان الوحيد القادر على السير في الصحراء ولمدة طويلة ونقل التجارة، وقيامهم بتنظيم القوافل عبر هذه الصحراء[12].

لقد ساعد الازدهار التجاري على ازدهار المدن الحجازية والتي نشأت بالأصل كمحطات على طرق القوافل التجارية لتقديم الخدمات التي تحتاجها هذه القوافل من ماء ورعي للإبل حيث ساعدها على هذا الازدهار وجود المياه وحصانة الموقع، والمتوفر لهذه المحطات جميعها سواء مكة والتي يمكن إعطاء وصفها بعض الخصوصية لوجود الحرم، ومما استتبع ذلك من مكانة دينية ميزتها عن بقية مدن الحجاز إلا أن يثرب والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى وتيماء هي بالأصل أراضي

خصبة لوجود المياه فيها، حيث توفر هذه المناطق خدمات إسنادية لحركة القوافل مثل التـزود بالمـاء والغذاء المناسب استعداداً لقطع مسافة أخرى داخل هذه الصحراء.

ب- أصل يهود الحجاز

أما الخوض في مسألة الوجود اليهودي في الجزيرة العربية وفي شمال الحجاز بالذات، فهي مسألة بالغة التعقيد، ولا تخلو من منزلقات خطيرة يجب أن نكون حذرين من الخوض فيها، إلا بالقدر الذي يخدم موضع البحث وانعكاسات هذا الوجود اليهودي على نشاطاتهم الاقتصـادية فـي الجزيـرة العربية قبل الإسلام.

إن بعض المصادر العربية الإسلامية تؤكد أن اليهود هم من القبائل العربية المتهودة، فذكر اليعقـوبي أن أشهر قبائل اليهود وهي بنو النضير وبنو قريظة التي استوطنت يثرب تنتميان إلـى قبيلـة جـذام اليمانية التي هاجرت إلى الحجاز، والتي استقرت - بعد اعتناقها اليهودية - في مدينة يثرب[13] وأمـا القبيلة الثالثة التي سكنت المدينة وهي قبيلة بنو قينقاع فقد اختلفت حولها الروايات ، فمنها ما هو اقرب القصة منه الى الحقيقة والتي تنص على أن بني قينقاع هي من بقايا الجماعة التي رافقت سيدنا موسى عليه السلام، للحج[14]، حيث تخلفت جماعة منهم، وسكنت في موضع سوق قينقاع، فكـانوا أول مـن سكنوا موضع المدينة[15]. ويلاحظ أنه بالمقابل لهذا الرأي هناك رأي آخر ،أقرب إلى الحقيقـة فحـواه أن اليهود هاجروا إلى الحجاز من بلاد الشام في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد بعد نجاح الرومـان في فرض سيطرتهم على بلاد الشام ومصر، وعلى اليهود ودولة الأنباط في القرن الثاني بعد المـيلاد، مما أدى إلى هجرة هذه القبائل اليهودية إلى الحجاز، التي كانت بعيدة عـن السـلطة الرومانيـة[16]. واستمرت هذه الهجرة اليهودية بشكل متزايد بعد فشل التمرد اليهودي ضد الرومان، وهي الثورة التي قضى عليها القائد الروماني تيطس عام 70م، وثورة أخرى أفشلها الإمبراطور هادريان بـين عـامي 132-135م[17].

لقد كانت فلسطين هي الامتداد الطبيعي للحجاز، وكان من الطبيعي أن يكون هناك اتصـال لسـكانها بالحجاز، واتصال مقابل لسكان الحجاز بفلسطين، وقيام جاليات يهودية بالذهاب إلى الجزيرة العربيـة للاتجار والإقامة[18]، ويجعل ابن الكلبي هذه العلاقة قديمة منذ استيلاء نبوخذنصـر علـى فلسـطين، "حيث أجلى من أجلى وسبى من سبى من بني إسرائيل فلحق قوم منهم بناحية الحجـاز فنزلـوا وادي القرى وتيماء ويثرب. وكان في يثرب قوم من جرهم وبقية من العماليق - وهـم بنـو عمـلاق بـن

أرفخسد بن سام بن نوح – قد اتخذوا النخل والزرع فأقاموا معهم، وخالطوهم فلم يزالوا يكثرون وتقل جرهم والعماليق حتى نفوهم عن يثرب واستولوا عليها"[19].

ولكن أبو الفرج الأصفهاني يجعل هذه الهجرة من فلسطين ذات صبغة سياسية حيث يقــول: "ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام فوطئوهم، وقتلوهم، ونكحوا نســائهم، فخــرج بنــو النضير وبنو قريظة، وبنو هدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني إسرائيل"[20].

إن هذا التضارب بين هذه الروايات قاد إلى حيرة واسعة بين المؤرخين القدامى والمحــدثين الذين حاولوا أن يعرضوا لتاريخ اليهود، فهناك من يعتبرهم عرباً، وبعضهم يعتبر أن بعــض القبائــل العربية قد تهوّدت وليس كلها بفعل معاشرتها ومجاورتها لهذه القبائل اليهودية ونرى الــبعض الآخــر يحاول تفسير هذا الاضطراب بأن هناك هجرتين يهوديتين من فلسطين إلى الحجــاز، وأن مهــاجري الدّور الثاني كانوا أكثر سلمية من مهاجري الدّور الأول حيث يقول إسرائيل ولفنســون "أنهــم كــانوا مجرد ضيوفاً مضطرين، نزلوا على أبناء جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء بالحفاوة والترحيب إذ كانوا يعلمون أنهم فارون من مخالب النسر الروماني حيث سهل هذا الامتزاج بين هؤلاء"[21].

أن للهجرة اليهودية خلفية سياسية أكثر منها دينية، عندما هربوا من الاضطهاد في فلســطين والذي وصل ذروته في العصر الروماني[22]، وأنه ليس من السهولة تحديد هوية اليهــود الحجــازيين ومدى جدية انتماء بعضهم للأصل العربي، وعدم صحة نسبة بعضهم كبني قينقاع مثلاً إلــى العنصــر العربي.

ويرى إبراهيم بيضون–أنه بغض النظر عن أصل المنطقة التي وفدوا منها والتي تبقى مجرد فرضيات. كل منها له ما يؤيده يبقى أن نقول: "بأنهم ظلوا جسماً غريباً عن المنطقة ولم يتطبعوا بحياة أهلها إلا بمقدار مصالحهم الخاصة، وأن العلاقة بين العرب واليهود لم تخلو في محورها من الاحتقار المتبادل. ولم يتأثر العرب بالديانة اليهودية على الرغم من أنها دين سماوي، ورغــم تفــوق اليهــود الاقتصادي والسياسي"[23]. فإننا نرى أن اليهود هم الذين تأثروا بالعرب وهذا ما سنراه لاحقاً في ثنايــا هذا البحث.

ج- مواطن اليهود في الحجاز

لقد استوطن اليهود أخصب مدن الحجاز تلك التي تتوفر فيهـا الشـروط المثلـى للإقامـة كخصوبة التربة، وتوفر المياه والموقع الاستراتيجي المهم والمسيطر على الطرق التجارية.

وأكبر هذه المواطن اليهودية وأهمها في الحجاز هي مدينة يثرب التي وصفت على أنها أقل من نصف مكة[24]، وموقعها الاستراتيجي المهم على عقدة المواصلات الرئيسية لتجارة الشام حيث يصفها ياقوت على أنها "حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه"[25].وهي واحة خصبة التربـة غزيـرة الميـاه محصورة بين لابتين بركانيتين تعرفان بالحرتين، حرة واقم في الشرق وحرة السوبرة فـي الغـرب. وتحيط بها الوديان في جهاتها الأربع، وتسير فيها الأودية مثل وادي بطحـان ووادي مهـزوز ووادي رانوناء. وتسير أودية المدينة منحدرة من الجنوب إلى الشمال ويسير مع انحدارها مياه الأمطار فيهـا جنات ذات نخل وبساتين تنبت أشجار الفاكهة"[26].

وتشير الإشارات المتوفرة في مصادرنا، بأن اليهود هم أول من استوطنوا يثرب "فلما قدم بنـو النضير، وقريظة وهدل المدينة، نزلوا الغابة فوجدوها وبيئة فكرهوها، وبعثوا رائداً أمروه أن يلـتمس لهم منزلاً سواها، فخرج حتى أتى العالية وهي بطحان ومهزور واديان من حرةٍ على تـلاع الأرض عذبة، بها مياه عذبة، تنبت حُرَّ الشجر فرجع إليهم فقال قد وجدت لكم بلداً طيباً نزهاً على حرة يصـب منها واديان على تلاع عذبة، ومدرة طيبة في متأخر الحرة"[27].

إن أشهر القبائل اليهودية التي سكنت يثرب هم بني النضير وبني قريظة، حيث سكنوا حـرة واقم في الناحية الشرقية من يثرب، وهي أخصب المناطق، وهـم مـا يطلـق علـيهم لقـب سـكان العوالي[28]. وأما قبيلة بني قينقاع فقد سكنت الجزء الجنوبي الغربي من واحـة يثـرب[29]. ومنطقـة السافلة، أما بقية قبائل اليهود، فكانت منتشرة في أماكن متعددة من مناطق يثرب الغنية، فبنـو بهـدل (هدل) وبنو عوف كانوا إلى جوار قبيلة بني قريضة، وتنزل بنو القصيص وبنو ناغضة بقباء ومنازل بني مرير وبني معاوية وبني ماسكة، تقع شمالي وادي مهزوز وبنو زعوراء سكنوا منطقة العـوالي قرب مشربة أم إبراهيم.. والتي كانت تسمى الملك أو فراقة النمل[30]. وبنو عكرمـة (عكـوه) وبنـو مرايه، سكنوا طرف حرة واقم شمالي منازل بني حارثة (في الأوس)، بينما كانت ثعلبـة وجماعـات غيرهم من اليهود يسكنون قرية زهوة بناحية واحة العريض. كما كان يعيش في شمالي يثرب وبقرب جبل أحد جماعات من اليهود[31].

إن هذا الاستعراض لمواقع اليهود في يثرب يثبت أن اليهود كانوا يسكنون أخصب منـــاطق يثرب وأغناها[32]. مما كان له الأثر الفعال في نشاطهم الاقتصادي فـــي يثـــرب. ويمكننـــا أن نقـــول وبشيء من الثـــقة أن اليهود الذين سكنوا الناحية الشرقية من يثرب أو العوالي كما تسميهم مصادرنا، كانوا يتمتعون بالغنى والمكانة الاجتماعية المرموقة أكثر من غيرهم الذين سكنوا النواحي الأخرى في يثرب.

وأشهر المواطن اليهودية بعد يثرب هي خيبر التي عرفت قبل الإسلام بأنها ريف الحجاز[33] وهي على ثمانية أميال من المدينة لمن يريد الشام وتشمل هذه المنطقة علـــى ســـبعة حصـــون وبهـــا مزارع نخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم، والقموص، وحصن أبي الحقيق وحصـــن الشـــق، وحصن النطاة والسلالم وحصن الوطيح، والكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن[34].

ومن مواقعهم المشهورة أيضاً فدك، وسكانها مثل أغلب يهود الحجـــاز، امتهنـــوا الزراعـــة واشتغلوا بالتجارة وبعض الحرف التي تخص اليهود مثل الصياغة والحدادة، والنجارة[35].

ووادي القرى وسمي بهذا الاسم لأن به من أوله إلى آخره قرى منظومـــة، وكانـــت قـــديماً منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله، ونزلها بعض هذه المناطق بعدهم اليهود، وخاصة منـــاطق تيمـــاء وفدك وخيبر ، وهي تقع شمال وادي القرى ، واستخرجوا عظائمهـــا وأســـاحوا عيونهـــا وغرســـوا نخلها[36].

وكانت أيضاً تيماء والتي فيها حصن الأبلق وهو حصن السموءل بن عاديـــا اليهـــودي[37]، وكان أيضاً بين أهل مقنا وأيلة في أيام الرسول قوم من اليهود، وكذلك أهل بقية القرى الواقعـــة فـــي أعالي الحجاز وعلى ساحل البحر. ومن هؤلاء اليهود بنو جنّة، وهم يهود مقنا[38]، وبنـــو عاديـــا[39]، وبنو عريضة[40].

ولا يستبعد أن يكون هناك قوم من اليهود بالطائف، ولكنهم كانوا قلّة حيث يذكرهم الـــبلاذري "حينما صالح أهل الطائف الرسول: " فصالحهم على أن يُسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، واشترط عليهم أن لا يرابُوا ولا يشربوا الخمر، وكانوا أصحاب ربا، وكان بخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها التجارة، فوضعت عليهم الجزية. ومـــن بعضـــهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف[41]، ولا يستبعد أن يكون قد قدم الطائف جاليات يهودية جاءت إليها مـــن

اليمن ويثرب إبان الاضطرابات السياسية ، لا سيما وان يهود اليمن لم يكونوا في معزل عــن يهــود الحجاز [42].

ويظهر أنه كان هناك وجود يهودي في مكة قبل الإسلام، وإن كنــا لا نســتطيع أن نجــزم بصحة هذا الوجود الذي يظهر أنه كان متعلقاً أساساً بالنشاط التجاري ولا تخرج عن كونها صوراً من الإقامة الفردية. مثل ذلك الإشارة التي ترد عن اليهودي الذي كان يقيم بجوار عبد المطلب بن هاشــم، الذي حرض حرّب بن أمية على قتله لنشاطه التجاري الواسع[43].

ويرى جواد علي أنه يمكن الإشارة إلى وجود جاليات من اليهود في المدن التــي اشــتهرت بالتجارة كبعض موانئ البحر الأحمر وموانئ سواحل العربية الجنوبية، غير أن وجــودهم فــي هــذه المواضع لم يكن له أثر واضح حيث لم يتجاوز محيط التجارة والاتجار[44].

ولم تذكر المصادر إحصاء لعدد اليهود ، ولكن بعض كتب السيرة والتاريخ ذكرت أعداد المقــاتلين – وهم عادة الرجال البالغون – من كل قبيلة وهم سبعمائة من بني قينقاع ومثلهم تقريبا من بني النضــير وما بين السبعمائة والتسعمائة من بني قريظة[45]، فالمقاتلون من يهود القبائل الثلاث يزيدون قليلا على الألفين ، هذا سوى بقية بطون يهود الأخرى ، وخاصة يهود حصون خيبر ، حيث يذكر اليعقــوبي أن فيها عشرون ألف مقاتل[46].

النشــاط الاقتصــادي لليهــود في الحجــاز

إن الحديث عن النشاط الاقتصادي لليهود في الحجاز لا يمكن فصله بأية حال من الأحــوال عن الحديث عن النشاط الاقتصادي بشكل عام في تلك الفترة، فلقد مــارس اليهــود جميــع الأعمــال الاقتصادية التي كانت مألوفة في عصرهم، من زراعة وتجارة وصناعة، وخير صفة يمكن أن نطلقها على مجتمع المدينة في تلك الفترة، بأنها مجتمع الموارد المتنوعة، فلا نرى جانباً يتطور على حســاب جانب آخر، كما هو الحال في مكة، حيث نرى أن النشاط الرئيسي الذي ميزها هو النشــاط التجــاري بحكم موقعها وطبيعتها الصحراوية.

أ – النشاط الزراعي

إن المواطن التي سكن فيها اليهود هي بالأصل عبارة عن واحــات تتــوفر فيهــا الشــروط اللازمة لممارسة العمل الزراعي، الذي لم يكن الوحيد كما لاحظنا، فيثرب أهم هذه المراكز اليهوديــة

التي لم تتميز بنمط انتاجي معين. وإن كانت الزراعة أهم أعمدة الحياة الاقتصـادية فيهـا، فأرضـها بركانية تمتاز بخصوبة تربتها، وتجري فيها أودية كثيرة تفيض بمياه السيول، التي تتجمع في الحرات الشرقية والجنوبية في فترات مختلفة من السنة[47]. وكانت هذه الأودية تسيلُ فيها المياه، والتي كانـت غزارتها تتراوح حتى تصل إلى أكثر من ارتفاع الكعبين، ولكنها كانت تفيض أحياناً حتى تصل إلـى أنصاف النخل[48]. كما يبدو أنه استخدمت الآبار الكثيرة المنتشرة في يثرب لري هـذه المزروعـات، وكان – قبل الإسلام – يناط بالعبيد مهمة السقاية من هذه الآبار .[49]

وترد إشارات كثيرة لهذه الآبار، ويتضح من هذه الإشارات أن ملكية هذه الآبار كانت أصلاً لليهود، مثل بئر أريس نسبة إلى رجل يهودي يقال له أريس، ومعناه بلغـة أهـل الشـام الفـلاح[50]. ويظهر أن هذه البئر كانت من الضخامة بحيث إن عثمان رضي الله عنه حينما سـقط خاتمـه "علـق عليها اثنا عشر ناضحاً فلم يقدّر عليه"[51].

وهناك أيضاً بئر خنافة، وكانت لخنافة اليهودي[52]، وبئر رومه، وكان ليهودي أمر رسـول الله صلى الله عليه وسلم بشرائها فاشتراها عثمان[53]. وبئر ذرّوان، وهي البئر التي ذكر أن لبيـد بـن الأعصم اليهودي سحر رسول الله بها، كما يشار أيضاً لبئر عاضد، وبئر الأعواف[54].

ومن الطرق التي يبدو أنها استخدمت في تنظيم ري المزروعات وسقاية النخيل، فقد وردت إشارة إلى الطريقة التي كان الزُراع بها يقسمون الماء بينهم "بأن يحبس الماء صاحب الأرض العالية حتى تسقي نخله فتصل إلى جذوره، بارتفاع الكعبين، ثم يرسلها إلى من هو أسفل منه فيسقي"[55]. هذا بخصوص الأودية أما إذا انخفض منسوب المياه في هذه الأودية فكانوا يلجئون إلى استخدام الآبـار، أو يحملـون المياه على الجمال النواضح لري الجهات التي تبعد عن مجرى سيلان المياه[56].

ومن أشهر المزروعات التي تشتهر بها المدينة، والواحات الأخرى التي استوطنها اليهود في الحجاز هي أشجار النخيل، وكانوا يزرعونها في مغارس كبيرة، وقد يحوطونها فتكون حدائق وكانت أرض المدينة صالحة لزارعة النخيل، حتى ليقال إن ودَّية النخل تثمر بعد عام واحد من زراعتها[57].

ويظهر أن النخيل كان عصب الحياة الاقتصادية لسكان الحجاز ويعتمد عليه السكان اعتمـاداً أساسياً في طعامهم، والتعامل بينهم، وكان يتخذ وسيلة لدفع الأجور وتسديد الـديون[58]. كمـا كـانوا يأكلون جمارها "شحم النخل وهو أعلى الساق تحت الجريد"[59]، بالإضافة لاستخدام جريدها لصـناعة المكاتل والقفف من خواصها، كما كانوا يستخدمونها في سقف سـطوح منـازلهم وعرائشـهم التـي

يستظلون بها من الحر"[60]. إضافة لاستخدام أشواكها وكرانيفها للوقود، ويرضخون النوى بالمراضـــخ حتى يتكسّر، فيكون علفاً للإبل، وكانت النخلة من الاحترام والمكانة في تلك الفترة، والفترة الإســـلامية حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن الصالح بالنخلة، كل ما فيه خير[61].

وكان هذا النخل ينتج أنواعاً متفاوتة الجودة من التمور، وكان أجود هذه الأنواع مـــن التمـــر نوع يسمى الصجاني، وأبن طاب، وعزق زيد، والعجوة، والصدفان وهو نوع من التمر أحمر وهـــو أوزن التمر كله، والخبيب وهو من أجود أنواع التمر. وكان ليهود بني النضير نوع فاخر من التمـــر يقال له اللوز، "أصفر شديد الصفرة ترى النواة فيه من اللحّمة"[62].

ولم تكن زارعة النخيل حكراً على المدينة لوحدها من دون واحات الحجاز التي عـــاش بهـــا اليهود سواء فدك أو خيبر أو تيماء التي كانت غنية بأشجار النخيل، وتعتمد في حياتها على هذه الغلـــة اعتماداً كبيراً جداً، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ من قطع أشجار النخيل وسيلة للضـــغط والتهديد لإجبار هؤلاء اليهود على الاستسلام في حروبه معهم. كما حصل مع بني النضير التي نزلت فيها الآية الكريمة، "ما قطعتم من لينة، أو تركتموها قائمة علـــى أصـــولها فبـــإذن الله وليخـــزي الله الفاسقين"[63].

ويهود خيبر هم الذين قالوا عن أنفسهم: "نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها"[64]، و "إن لنا بالعمـــارة والقيام على النخل علماً[65]، كما كان يهود خيبر في نظر من حولهم من القبائل العربيـــة هـــم "أهـــل النخل"[66]. ولا عجب! فيهود منطقة الحصون، كانوا أحرص الناس على زرع النخيل وغرسه، وكانوا أكثر خبرة بزراعته وسقيه[67] فالنخلة عنهم "أحب إليهم من أبكار أولادهم"[68].

كما يظهر أن فتح خيبر قد عادت على المسلمين ثروة هائلة من التمور حيث كانت "موصوفة بكثرة النخل والتمر"[69] بحيث نرى عائشة رضي الله عنها تقول "الآن نشبع التمر" وقول ابن عمر "ما شبعنا حتى فتحنا خيبر"[70]. وليس أدل على كثرة محصول التمر في الواحة الخيبرية مـــن أن نخـــل وادي الكتيبة كان ينتج ثمانية آلاف وسق من التمر[71]، وأما عن الإنتاج الكلي لمحصول التمـــر فـــي واحة خيبر في عام، فإن ابن شبة يذكر في كتابه تاريخ المدينة المنورة أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بعث عبد الله بن رواحة ليخرص على يهود خيبر النخل، فخرص عليهم أربعين آلف وسق مـــن التمر[72].

ويأتي الشعير بالمرتبة الثانية بعد النخيل، وكان يعتمد عليه السكان اعتماداً رئيسياً في غذائهم وكانوا يزرعونه في حقول خاصة، بالإضافة لزراعته تحت النخيل، ويظهر أن كمية الإنتاج من الشعير كانت وفيرة[73]، فكان إنتاج وادي النطاة من الشعير وفيراً[74]، وما غنمه المسلمون من (دار بني رقمه) يقطع بوفرة إنتاج هذا الوادي[75]، "كما كان يزرع في الكتيبة شعير، فكان يحصد منها ثلاثة آلاف صاع"[76]. كما وجد في حصن الصعب وهو من حصون النطاة شعيراً كثيراً[77] أما عن الإنتاج الكلي لمحصول الشعير في خيبر لوحدها فقد بلغ حوالي عشرة آلاف صاع[78] وكانت له مخازن في الحصون والآطام والدور، وكان اليهود يتاجرون بدقيق الشعير ويبيعونه في الأسواق.[79]
كذلك زرع اليهود القمح والكروم وكان إنتاجه وفيراً[80] وبعض أنواع الفاكهة الأخرى من رمان وموز وليمون وبطيخ، كما كانت تزرع بعض الخضروات والبقول، كالقرع واللوبيا والسلق والبصل والثوم والقثاء[81]. إذ حرص اليهود على أكلها لما فيها من صحة أبدانهم فيما يعتقدون[82]، ويخبرنا أبو ثعلبة الخشني أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، "فوجدوا في جنانها بصلاً وثوماً فأكلوا منه وهم جياع"، وفي رواية أخرى "حتى تقرحت أشداقهم" ثم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان المسجد لمن أكلهما[83]. ومن مصادر الثروة الزراعية أيضاً حب ألبان، ومنها كان يحمل إلى سائر البلدان[84].
لقد استوطن اليهود كما أسلفنا سابقاً أصلح الأراضي الزراعية في يثرب ويظهر أن هؤلاء اليهود سيطروا على مركز الثروة الاقتصادية والثروة الزراعية في المدينة، وكانوا من أشهر أهلها غنى وثروة الذين يمتلكون الأراضي الزراعية الواسعة فهذا مخيريق اليهودي حين أسلم أوصى بأمواله للرسول، وبلغت هذه الأموال سبع حوائط"[85].

ولقد استخدم هؤلاء اليهود الأساليب التي تضمن لهم الربح، وقاموا بإعطاء الأرض لمن يزرعها على نظام المزارعة، وحسب جودة هذه الأرض، وكانوا يزّارعون على الثلث أو على الربع، وأحياناً على النصف مما تنتجه الأرض[86]، وطبقوا أيضاً نظام المؤاجرة، حيث كانت الأرض تؤجر إما مقابل مبلغ محدد من النقود، أو جزء من المحصول، أو تقسيم الحقل إلى قسمين، قسم لصاحب الأرض وقسم للمزارع الذي يقوم بزراعتها[87].

ويلاحظ أنه على الرغم من هذا النشاط الزراعي الواسع لليهود إلا أن حاصلات بعض المناطق مثل المدنية لم تكن لتكفي حاجة سكانها المتزايدة، بحيث كانوا يستوردون ما يحتاجونه من

بلاد الشام، وتصل بهم الحاجة حداً لأن يشاركوا نبط الشام، في الحنطة والشعير والزبيب إلـــى أجـــل مسمى، قد يبلغ سنة أو سنتين ليضمنوا الحصول على ما يحتاجونه منهم[88].

ويظهر أن السيطرة الاقتصادية لليهود على المدينة كانت سبباً في فقـــر ســـكانها الأصـــليين وحرمانهم، وسوء أحوالهم الاقتصادية، ويبدو أن عملية إجلاء اليهود عن المدينة في عصر الرســـول صلى الله عليه وسلم كانت تعبيراً عن هذا الوضع السيئ، ولتضايقهم من السيطرة الاقتصادية لليهـــود على مجتمع المدينة في تلك الفترة، وتركت هذه العملية أثراً إيجابياً على هؤلاء، وأخذوا يجـــدون لهـــم رزقاً في العمل والتجارة[89]. مع التأكيد على أن إجلاء اليهـــود يعـــود بالأصـــل لخـــرقهم العهـــود ، ولمواقفهم العدائية من المسلمين ، ولأنهم صاروا يهددون أمن المدينة .

ويرى ولفنسون أن اليهود أسهموا في تطوير الزراعة وتنوعها "بإدخالهم أنواعاً جديدة مـــن الأشجار وطرقاً جديدة للحراثة والزراعة بالآلات"[90]، ولكن هذا بتقديري يعود للبيئة الحجازية نفســـها التي وجد اليهود أنفسهم بها، هذه البيئة التي أسهمت في إنجاح أية عملية تطوير للعمل الزراعي التـــي فرضت عليهم هذا النمط الزراعي في يثرب. وفرضت بالمقابل العمل في التجارة على مكـــة. وهـــذا ينفي قول ولفنسون بأن اليهود كانوا أساتذة الحجاز في ممارسة العمل الزراعي، لأنه ينكر بهـــذا دور القبائل اليمانية، ذات التراث العريق والخبرة الزراعية الواسعة التي جلبتها معها من الـــيمن موطنهـــا الأصلي، وطبقتها في المدينة، ولكن يبدو أن الخبرة الوحيدة التي أدخلها يهود الحجاز إليه هي عمليـــة بناء الحصون والآطام. وهي لم تكن معروفة لدى عرب الحجاز، ويظهر أن اليهود قد نقلوهـــا معهـــم من بلاد الشام. وبلغ عددها في يثرب لوحدها تسعة وخمسين آطماً"[91].

والآطام كلمة عبرية تعني حوائط بدون نوافذ من الخارج، وبالعربيـــة البنـــاء المرتفـــع"[92]. ولهذه الآطام استخدامات متعددة وتقدم خدمة كبيرة الأهمية لأصحابها فيحتمي فيها السكان عند هجـــوم العدو، وتأوي إليها النساء والأطفال عندما يخرج الرجال للحرب، كما كانت تستخدم مخـــازن للغـــلال والأسلحة، وتنزل بجوارها القوافل، وتقام الأسواق على أبواب هذه الآطام، ويوجد في كل أطـــم بئـــر يستسقي منه أهله، إذا هاجمهم العدو. كما كانت هذه الآطام تشتمل علـــى المعابـــد ودور المـــدارس، ليجتمع بها الزعماء للبحث والمشاورة في كل أمورهم[93]. ولقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعـــالى: "لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر"[94]. لقد كانت لكـــل قبيلـــة يهوديـــة آطـــام اشتهرت بها فمن آطام بني قينقاع آطم قرع[95]، ومن أشهر أطام بني النضـــير حصـــن كعـــب بـــن

الأشرف، وهو الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان يهجو الرسول ويحــرض كفــار قريش على الرسول[96].

وحصن ناضحة، وحصن عمر بن جحاش، وحصن البدّيلة، وحصن براج ومنور[97]، ومــن حصون بنو قريظة، حصن الزبير بن باطا القرضي، وحصن كعب بن الأشــرف، ويســمى حصــن (بلجّان)، وكذلك حصن الملحة، والمعرض، وهو الحصن الذي يلجئون إليه عند الشدة[98]. ومن أشهر حصون القبائل اليهودية الأخرى أطم صوار، والريان، والعائدان لبنــي ثّلعبــه[99]. وهنــاك حصــن الشفجان شمالي شرق المدينة قرب وادي قناة[100]. ومن أشهر حصون خيبر: الشق والنطاة ومــاحيز والكتيبة والسلالم والوطيح[101]. وحصن ناعم والقموص، وحصن أبي الحقيق[102]، وحصــن الأبلــق، وحصن السموءل بن عاديا المشرف على تيماء[103].

ب- النشاط الصناعي

كان النشاط الصناعي في المدينة المنورة متقدماً عنه في كافة المــدن الحجازيــة الأخــرى وكانت هذه الصناعات ضرورية للأعمال الزراعية، ثم أنه كان بها صناع مختصون احترفوا أنواعــا من الصناعات وبرعوا بها، وخصوصاً تلك الصناعات التــي يحتاجهــا النــاس فــي اســتخداماتهم اليومية[104].

ومن أشهر هذه المصنوعات تلك التي تعتمد على الإنتاج الزراعي وأهمها صــناعة الخمــر الذي كانوا يصنعونه من التمر، والتي كانوا يسمونها الفضيخ، وكانوا يشربونها ويتاجرون بها ولــديهم منها كميات كبيرة يختزنونها في جرار، وكانت هذه الصناعة عامة يمارسها العرب واليهود على حــد سواء[105].

كما اشتهرت المدينة بصناعة الخوص من ســعف النخــل، بالإضــافة لصــناعة المكاتــل والمقاطف والقفف. وأعمال التجارة اللازمة للبيوت من أبواب ونوافذ وأثاث، وقد كان أغنياء اليهــود يمتلكون الكثير من الأثاث في بيوتهم، وكان استعمال الكراسي أمراً شائعاً حيث يصنعونها من الخشب وأرجلها من الحديد[106].

ولقد ساعد على تقدم الصناعات الخشبية في يثرب وفرة أشجار الخشب والطرفــاء، والأثــل في منطقة الغابة في الناحية الشمالية الغربية من المدينة[107].

وكانت الحدادة إحدى الصناعات القائمة في المدينة والمرتبطة في الأعمال الزراعية، حيث ازدهـرت بعض المصنوعات التي تحتاجها طبيعة الأعمال الزراعية التي يمارسها السكان في نشاطهم الزراعي، حيث تحتاج الزراعة إلى أدوات مختلفة مثل الفئوس، والمحاريـث، والمسّـاح والمناجـل للحصـاد، وغيرها من الآلات التي كان يمارسها العرب واليهود على حدٍّ سواء. وإن كانت الموالي والعبيد أكثر احترافاً لها"[108]. وهذا يخالف ما جاء به أحد الباحثين المحدثين في أن العرب كانوا يأنفون العمل بهـا ويعتبرونها من المهن الحقيرة[109]. فنرى أن ممارسة هذه المهنة لم تنحصر فقط بالجماعات اليهودية، ولكنها كانت ممارسة عامة للجميع بدون استثناء.

واشتهر اليهود وخصوصاً يهود بني قينقاع بالصياغة حيث احترفوها ولم يحترفها أحد مـن العـرب معهم[110]. ومن هذه المصنوعات التي كانوا يصوغونها الأساور والـدمالج والخلاخيـل والأقرطـة والخواتم، والفتخ والعقود من الذهب، أو من الجوهر والزمرّد، أو من الجزع الضفاوي، وهـو خـرز ثمين به ألوان بيضاء وسوداء، وكانت هذه الحلي تباع في سوق خاص بهم[111].

وجاء في الأغاني أن النابغة الذبياني أقبل إلى المدينة يريد سوق بني قينقاع فلما أشـرف علـى السوق سمع الضجة وكانت سوقاً عظيمة فحاطت به ناقته[112]. وحين فتح رسول الله صلى الله عليـه وسلم خيبر، وكان قد اشترط على أهلها أن لا يخفوا عليه شيئاً ويظهر من هذا أن آل أبي الحقيق وهم المهيمنون اقتصادياً من اليهود في تلك الفترة كانوا يمتلكون ثروة من هذه المصوغات الذهبية التي لها شهرة واسعة جداً لدرجة أن بعض أهل مكة كانوا إذا عرسوا يأتوا إليهم ليستعيروا ذلك الحلـي لمـدة شهر، وكان ذلك الحلي يكون عند الأكابر، وهم في الأغلب من آل أبي الحقيق[113]. وكان هذا الكنـز عبارة عن مسك جمل، جله أساور وذهب ودمالج ذهب، وخلاخل ذهب، وأقرطة ذهـب ونظـم مـن جوهر وزمرد وخواتم ذهب، وفتح بجزع ظفار مجزع بالذهب[114].

وتفوق اليهود أيضاً بصناعة الأسلحة كالدروع التي كانوا من البراعة فيها، حتـى أنـه ليقـال: إنهـم ورثوها عن النبي داود عليه السلام[115]، وكانت السيوف والنبال تصنع بالمدينة ونبال يثرب مشهورة، وكان من هؤلاء الصناع من يتخصص فـي حـداء الأسـلحة، وصـقل السـيوف[116]. بالإضـافة لمصنوعاتهم من أدوات الصيد المختلفة كالفخاخ والشباك.. وأشراك الحديد، وغير ذلك[117].

ويبدو أن هؤلاء اليهود كانوا يمتلكون ثروة واسعة من هذه الأسلحة، كانوا يخزنونها في حصونهم وآطامهم فحين فتح الرسول صلى الله عليه وسلم خيبر وجد فيها ألف وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألف رمح، وألف وخمسمائة ترس وحجفة[118].

وكذلك وجدَ المسلمون حينما فتحوا حصون بنو قينقاع كثير من الدروع والسيوف والأقواس ووجدوا سلاحاً كثيراً وآلة للصياغة[119]. وغنموا كذلك الكثير من الأسلحة حينما فتحوا حصون بنو قريضة[120].

وإلى جانب هذه الصناعات الهامة كانت تقوم صناعة النسيج والتي تمارسه النساء[121]. بالإضافة لذلك وجدت حرف أخرى، مثل الخياطة والدباغة وأعمال النحت وضرب الطوب[122]، بالإضافة إلى صنع آنية المنازل، وأدواتها من نحاس وفخار للأكل والشرب، وما إلى ذلك من مصنوعات[123].

ومن هذا نلاحظ أن اليهود في شمال الحجاز كان لهم باع طويل في النشاط الصناعي حيث مارسوا كافة الحرف المتعلقة بحياتهم وأعمالهم الزراعية، ومع أن اليهود برعوا في جوانب معينة في هذه الصناعة، بل حتى احتكروها كصناعة الصياغة، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن ممارسة العمل الصناعي بجميع جوانبه لم تكن حكراً عليهم لوحدهم، بل شاركهم فيها سكان المدينة الآخرون من العرب.

ج- النشاط التجاري

إن الحجاز مكان يشقه شريان التجارة الرئيسي، الذي تتفرع منه شرايين تتجه باتجاه الشرق والشمال الشرقي، كما يسير بمحاذاته شريان آخر مهم، هو طريق البحر الأحمر المؤدي إلى الهند، لهذا فإن الحجاز كان جسراً يربط بلاد الشام وحوض البحر الأبيض المتوسط مع اليمن والحبشة والصومال بالسواحل المطلّة على المحيط الهندي، وكان لهذا الطريق أعظم الأثر في قيام مدن تجارية بالحجاز، كمحطات تجارية واقعة على هذا الطريق البحري[124].

ومما زاد من قيمة هذا الطريق وازدياد مكانته التجارية هو النزاع الفارسي البيزنطي، ذلك النزاع الذي بلغ أشده في القرن السادس الميلادي بسيطرة الأحباش واحتلالهم لليمن وما تلاه بعد ذلك من احتلال فارسي لها. وقيام الحروب المتصلة بين هاتين الإمبراطوريتين حيث أدى هذا لإغلاق طريق التجارة الشرقي، المار بين العراق إلى بلاد الشام، بالإضافة لخلو الطريق البحري عبر البحر الأحمر من السفن الرومية، ولم تستطع البحرية الحبشية أن تسد هذا الفراغ فيه، فأصبح ميداناً لسفن

القراصنة[125]، وساعد هذا على أن يكون الطريق البري المار عبر الحجاز هو الطريق المفتوح أمـــام التجارة.

لقد نشطت مكة ويثرب كمحطات تجارية على هذا الطريق التجاري الذي يربط اليمن بالشام، ومع أن الإشارات متوفرة وبكثرة عن النشاط المكي التجاري، إلا أن هذا لا يمنعنا من الافتراض بـــأن المدينة شاركت مكة مثل هذا الدور، وإن كانت لم تتخصص بالتجارة لوحدها مثلما هو الحال في مكـــة بل لها موارد اقتصادية أخرى غير التجارة.

لم يقتصر دور يثرب ومكة التجاري على كونهما محطات تجارية بل شـــاركتا فـــي العمـــل التجاري نفسه فكانتا مدينتين تجاريتين لهما نشاطهما الخاص بهما.

إن طبيعة كون يثرب مدينة محاطة بالقرى والأعراب لابد أن تكون فيها حركة تجاريـــة وأن يكـــون كثير من أهلها قد تفرغوا للأعمال التجارية[126]، ومما يؤكد هذا الدور الكثير من الإشـــارات القرآنيـــة المتعلقة بهذا النشاط التجاري[127].

وكان دور اليهود في هذا النشاط التجاري الداخلي كبيراً، فاليهود مارسوا كل أنـــواع المعـــاملات التجارية المعروفة في زمانهم، ووسعوا نفوذهم الاقتصادي بين القبائل العربية، ووجهوا كل نشـــاطهم التجاري لتضخيم ثرواتهم التي اعتمدوا فيها على مختلف المعاملات والقروض الربوية، كما امتـــازوا أيضاً ببعض الصناعات المربحة كالصياغة والنسيج، وكانوا قبل الإسلام من أكثر سكان يثرب نشـــاطاً في تجارة البر والشعير والتمر، واحتكار صناعة الخمر وتجارته، حيث وفرت تلك التجارة لهم أرباحاً طائلة[128].

ونشطت في يثرب بعض الأسواق التجارية ، التي تعتبر مؤشراً على النشاط التجاري الواســـع الـــذي شهدته قبل الإسلام من أشهرها هو سوق بنو قينقاع للصاغة ، وهو السوق الذي امتدت شهرته حتـــى بداية عصر النبوة[129]. ومما يشير لنشاط هؤلاء اليهود التجاري وعدائهم للحركة الإســـلامية الجديـــدة محاولة الرسول صلى الله عليه وسلم اتخاذ سوق آخر في موضـــع بقيـــع الزبيـــر[130]. وربمـــا أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أن يضرب احتكار اليهود لهذه التجارة، وتحويـــل مركـــز الثقـــل الاقتصادي ليد المسلمين، وربما أراد بذلك التخلص من العمليات الربوية الواسعة التي كانـــت تجـــري في ذلك السوق مما يتنافى مع القيم الإسلامية الجديدة التـــي أراد الرســـول صـــلى الله عليـــه وســـلم ترسيخها، ومما يشعر بالدّور الكبير الذي كان يؤديه هذا السوق في يثـــرب قبـــل الإســـلام، وتحـــول

المسلمين إلى سوق جديد حيث بدأ هؤلاء اليهود يشعرون بالخطر يتهدد مصالحهم بقيام الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل سوق يثرب إلى موضع جديد قائلاً لهم: "هذا سوقكم فلا تضيق ولا يؤخذ فيه خراج"[131]. حيث قام كعب بن الأشرف أحد الزعماء اليهود بإظهار عداوته لهذه الخطوة الجديدة حيث دخل الخيام وقطع أطنابها.

واستمر سوق بني قينقاع بأداء دوره حتى بعد معركة بدر عام 2 هـ / 623 م . فعندما انتصر المسلمون على مشركي مكة ومجاهرة يهود بني قينقاع بالعداء للرسول صلى الله عليه وسلم "ذهب إليهم في سوقهم ونصحهم بعدم إثارة الفتن"[132].

ويلاحظ أن هذا السوق كان يؤدي أدواراً أخرى، فهو مكان للاجتماع والتباحث بالإضافة لدوره الاقتصادي المتميّز، فبنو قينقاع سكنوا الأماكن الأقل أهمية من الناحية الزراعية، ولكنهم اشتهروا كقوم تجار وصاغة، مما أدى إلى تعويضهم عن هذا الحرمان، واتجاههم نحو العمل الأكثر ربحاً وهي العمليات التجارية وما يتعلق بها من حرف ذات مردود مادي عالٍ كالصياغة، وعمليات الصيرفة ذات الفوائد الربوية العالية، وتدل الإشارات المتوفرة على تردد أهل يثرب من المسلمين على هذا السوق لشراء المصوغات الذهبية التي يحتاجونها فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الزواج من فاطمة الزهراء رضي الله عنها ذهب إلى سوق بني قينقاع لشراء الحلي الخاصة بالزواج[133]. وكانت حادثة الاعتداء على المرأة المسلمة التي ارتادت هذا السوق لشراء الحلي سبباً مباشراً لإخراج هؤلاء اليهود من المدينة[134] كما يبدو أن المهاجرين الأوائل من المسلمين استطاعوا استغلال خبراتهم التجارية السابقة واستطاعوا الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة في هذا السوق، حيث نزلوا للعمل في سوق بني قينقاع للتخفيف من الأعباء الملقاة على كواهل الأنصار. ولقد استطاع عبد الرحمن بن عوف أن يجمع أموالاً بسرعة من مزاولته التجارة في هذا السوق، حيث أدى هذا لغناه فتزوج من الأنصار وأسس له بيتاً مستقلاً[135]. ولقد استطاع هؤلاء المهاجرون الجدد ذوو الخبرة التجارية السابقة في مجتمع مكة من التأثير على الحركة التجارية في يثرب لصالحهم، ويبدو أن مركز الثقل الاقتصادي قد انتقل إلى أيدي هؤلاء، مما أدى لأن يجاهر اليهود بعداوتهم علناً للمسلمين بعد معركة بدر.

وكانت هناك أسواق أخرى في يثرب وإن كنا غير جازمين بأنها يهودية، ولكن لا يستبعد أن يكون لهؤلاء اليهود نشاطاً تجارياً مميزاً في هذه الأسواق وهي : سوق من ناحية يثرب "وهو ما بين طرف

قناة إلى طرف الجرف"[136]. وسوق في منطقة العصبة عند قباء وسوق مزاحم قرب مساكن بني الحبلى قوم عبد الله بن أبي سلول[137]. وسوق قرب البقيع عرفت ببقيع الخيل، كان بنو سليم يجلبون إليها الخيل والغنم والسمن، وكان أكثر ما يباع بهذه الأسواق الحيوانات[138]. لا سيما وان العلاقات التي كانت تربط بين اليهود وبين الأوس والخزرج كانت في بعض الأحيان علاقات سلم[139]، أضف إلى ذلك أن اليهود قبل الإسلام كانت لهم السيطرة الاقتصادية في يثرب .

ويلاحظ أن هذه الأسواق كانت تقام على أطراف المناطق السكنية والمنطقة التجارية، ولعل الأمر يعود لأسباب دفاعية واجتماعية[140].

وكانت السلع التي تباع في هذه الأسواق متنوعة، سواء ما تنتجه المدينة نفسها من تمور وشعير وطعام وخمر، والحطب الذي يجلبه الحطابون من حول المدينة بالإضافة لما يفد إليها من منتجات البادية من صوف وشعير ووبر وسمن، ومصنوعات المدينة نفسها من مصوغات وحلي ذهبية أو آلات زراعية كمساح ومكائل وكرازين، أو ما يجلب إليها من الخارج من نبيذ وزيت وحنطة ومنسوجات قطنية وحريرية، ونمارق ملونة يشتريها أهل النّعمة واليسار، كما كان هناك عطارون يتاجرون في أنواع العطارة والمسك والروائح العطرية. وكان لكل طائفة من الباعة موضع معلوم في السوق[141].

إن المدينة كانت تقع على نفس الطريق التجاري الذي تقع عليه مكة، فمن هذا يصح الافتراض بأن الإشارات الكثيرة المتوفرة عن السلع المكية يمكن أن تنطبق في بعضها على يثرب أيضاً.

حيث كانت تمر على هذه المدن القوافل التجارية القرشية القادمة من اليمن إلى بلاد الشام ، والمحملة ببضائع من الهند وشرق أفريقية عبر موانئ الجنوب.. كالذهب والقصدير والفضة والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل كالبهار والفلفل ونحوها، والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوان والزعفران والآنية الفضية والحديد والذهب والرقيق[142]. ومن حاصلات اليمن البخور واللّبان والمرّ واللادن والعطور والحجارة الكريمة، كالثيب والعقيقة والجلود ذات الرائحة الطيبة[143]، ومن حاصلات جزر سومطرة جزيرة بإندونيسيا العود والند ومن البحرين اللؤلؤ ومن الشمال القمح والرقيق والزيت والخمر[144].

كما تحمل من حاصلات الجزيرة العربية نفسها كالعطور من اليمن والزبيب من الطائف ومعادن الحجاز ولم تكن هناك أية قيود مفروضة على نوعية التعامل الاقتصادي داخل هذه الأسواق، وكانت جميع العمليات التجارية تمارس بدون تحديد، فيهود بني قينقاع على ما يبدو عملوا بالصيرفة حيث كانوا يبيعون الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، ويقومون باستبدال النقود ويظهر أنهم كانوا يستغلون بساطة الناس فلا يظهرون لهم مدى جودة هذه العملة ومدى فرق الوزن بين هذه الدنانير والدارهم[145].

كما ازدهرت حرفة السمسرة، فهناك من كان يتولى البيع نيابة عن أصحاب البضائع، وخاصة أهل البادية وكثيراً ما كانوا يستغلون جهل هؤلاء الأعراب فيبخسونهم أو يرفعون السعر أو ينقصونه مضاربه[146].

كما يلاحظ أن ظاهرة الاحتكار كانت معروفة في يثرب، فكان تجار يثرب يتلقّون الركبان خارج يثرب ويشترون منهم ما يحملونه من طعام قبل أن يصلوا به إلى السوق حتى لا يعرف الناس ثمنه الحقيقي، ثم يجمعونه ليحتكروا به السوق، وأحياناً يبيعونه في مكانه قبل أن يصلوا إلى السوق إذا تحقق لهم الربح الذي يطلبونه[147].

ويتضح أن اليهود كانوا يمارسون مختلف العمليات التجارية المربحة، فكانت ظاهرة الغش والمخادعة ظاهرة موجودة في الأسواق، فكانوا يخلطون الحنطة بالشعير ليكثر كيلها، ويخلطون التمر الرديء بالجيد ويتركون الإبل والغنم والبقر بحليبها أياماً حتى تبدو كثيرة اللبن ثم يبيعونها[148]. وعرفوا أيضاً البيع بالنسيئة[149]، فكان الناس يستلفون في التمر العام والعامين، ويلاحظ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر هذه المعاملات التجارية، ولكنه وضع لها قواعد اقتصادية سليمة فقال: "من سلف في تمر فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم"[150].

وكانت دائرة هذا النشاط تتسع لتشمل تجار بلاد الشام، وفي هذا إشعار لدور المدينة التجاري في هذه الفترة "فكنا نسلّفُ بنبط أهل الشام في الحنطة والشعير والزيت في كيل معلوم إلى أجل معلوم"[151]، حيث كان في يثرب سوقا كانت للنبط ، ومر بها هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم في سعيه لإقامة الأحلاف[152].

وعرفوا الرهن أيضاً حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم، نفسه رهن درعه عند يهودي مقابل مُدَّين من شعير وحين أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف

الذي كان يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم ، اشترط عليهم أن يرهنوا شيئاً مقابل ما يريــدون مــن شعير [153].

ولقد وصل الحسّ التجاري بهؤلاء اليهود لدرجة أنهم كانوا يجمعوا شحوم الحيوانات الميتة ويبيعونــه لأهميته في طلاء السفن ودهن الجلود والإنارة[154].

وكانت الربا مظهراً من مظاهر الحركة الاقتصادية والتجارية، ووسيلة من وسائل التعامل في المجتمع العربي بعــامة، وفي المدن خــاصة، وبرع به اليهــود لدرجة كبيرة، سواء أكان مع أهل المدينـــة أم مع القادمين إليها. وكان هذا الربا يصل حداً يتجاوز به على القيمة الفعلية للدّين[155]. وترد في القــرآن الكريم إشارات كثيرة تؤكد على اشتغال هؤلاء اليهود بالربا، وعلى أكلهم أموال الناس بالباطل بقولـــه تعالى في سورة النساء "وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأعتــدنا للكــافرين منهم عذاباً أليماً"[156].

وكانت هذه المعاملات الربوية من الشدة والرسوخ لدرجة أن القرآن الكريم تدرج في تحريمـــه، ممـــا يعكس مقدار تمكنه من المعاملات الاقتصادية اليومية، ففي البداية نهى القرآن عن الربا الفاحش بقولـــه تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكــم تفلحـــون"[157]. ثــم جــاء تحريمه القاطع بسورة البقرة "الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشــيطان مــن المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا"[158].

أما عن نشاط اليهود الخارجي في التجارة فلدينا إشارات قليلة، لا تعطي صورة تفصيلية عــن مجمــل جوانب ذلك النشاط. وتبقى مجرد افتراضات أكثر منها حقائق ثابتة. ويظهر أن اليهود كانوا يشتركون في تجارة القوافل المكية المارة في أراضيهم، ويبدو أن مشاركتهم كانت في هذه القوافل ضعيفة حيــث أن مصادرنا لا تشير من قريب ولا بعيد لأية معاهدة أو اتفاقية عقدت بين التجار المكيــين والمــدنيين وترد إشارة لأحد هؤلاء التجار اليهود وهو أبو رافع الخيبري، الذي وصلت شهرته التجاريـــة مرتبـــة عظيمة وكان يرسل بضاعته بواسطة القوافل إلى الشام ويستورد منها الأقمشة المختلفة [159]، وهــذا لا ينفي ما يعرف عن تنظيم القوافل المكية التي تقتصر رؤوس أموالها في الغالب على القرشيين فقط .

ويحاول ولفنسون أن يحصر تجارة البلح والشعير والقمح بهم في شمال الحجاز [160]، ولكن هــذا لا يمنع أن يكون هؤلاء اليهود تجاراً نشيطين مع المناطق الشمالية، وتخصصوا في بعض الســلع التـــي درت عليهم أرباحاً طائلة كتجارة النبيذ مع بلاد الشام، والتي يظهر أنهم برعوا بها لدرجة كبيرة[161].

ويبدو أن بعض هؤلاء اليهود حاول منافسة التجارة المكية، حيث ترد إشارات عن إقامة بعض هؤلاء التجار في مكة مما يجعلنا نعتقد بأنهم ارتبطوا معهم بتحالفات تجارية لحماية تجارتهم وتوفير عنصر الأمن لهم، ليتاجروا بكل حرية فكان في جوار عبد المطلب يهودي يقال له أذينة، وكان اليهودي يتسوق في أسواق تهامة بماله فغاض ذلك حرباً فألّب عليه فتياناً من قريش، وقال هذا العلجّ يقطع إليكم ويخوض بلادكم كثيراً من غير جوار ولا خيل"[162].

إن عدم تجانس التركيبة السكانية في يثرب بين اليهود وبين العرب أوجدت التنافس بين أمكنتها المختلفة، وغياب الوحدة السياسية أدى لحرمان يثرب في أن يكون لها دور مميز في النشاط التجاري قبل الإسلام، وخصوصاً أن مواردها الاقتصادية متنوعة . ونلاحظ أنه فيما بعد حينما توفرت لها هذه الوحدة وهذا التجانس أصبحت تضاهي التجارة المكية، واستطاعت أن تحتل مكانها، وتحولت إلى مركز الثقل الاقتصادي، واستطاعت أن تهزم مكة اقتصادياً قبل أن تهزمها سياسياً، وأتضح هذا بعد أن استقر المسلمون في المدينة حيث أخذوا بمزاولة التجارة الخارجية وأخذ تجار من المهاجرين القرشيين أمثال طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد يرحلون إلى الشام ويجلبون منها التجارة[163].

وتعززت هذه المنافسة حينما بدأت سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم تعترض القوافل القرشية، مما شكل تهديداً كبيراً لقريش، وتجارتها، وكانت بداية لانهيارها كقوة تجارية.

العلاقات الاقتصادية اليهودية

أ – علاقاتهم الداخلية في يثرب

معلوم أن اليهود كانوا موجودين في يثرب قبل مجيء الأوس والخزرج إليها، والتي لا مجال للخوض في أسبابها وتفاصيلها، ولكن على ما يبدو أن هذه الهجرات التي قامت بها هذه القبائل الأزدية كانت أسبابها متعددة، منها اضطراب أحوال اليمن نتيجة للنزاع السياسي بين القبائل، وتتابع الغزوات الحبشية عليها منذ القرن الثالث الميلادي، والخراب الاقتصادي نتيجة لإنهيار سد مآرب، وحدوث سيل العرم[164]. وأخذت هذه القبائل بالهجرة باتجاه الشمال، ومنها قبائل الأوس والخزرج الذين هاجروا إلى يثرب في فترة كانت أوج السيطرة فيها لصالح اليهود سياسياً واقتصادياً، وبعد استقرار الأوس والخزرج بدءوا بمحاولة السيطرة على يثرب ، وتقليص النفوذ اليهودي الواسع حيث

يفهم هذا من رواية صاحب الأغاني: "فلما توجه الأوس والخزرج ووردوها نزلوا في حرار وتفرقوا، وكان منهم من لجأ إلى عفار في أرض لا ساكن فيها، فنزلوا به. ومنهم من لجأ إلى قرية من قراهـــا، فكانوا مع أهلها، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بيثرب في جهد وضـــيق المعـــاش، ليسوا بأصحاب نخل وزرع وليس للرجل منهم إلا الأعزاف اليسيرة والمزرعة يستخرجها مـــن أرض موات، والأموال لليهود، فلبث الأوس بذلك حيناً[165].

ويؤكد هذا السمهودي أيضاً حيث يقول "وقد وجد الأوس والخزرج الأموال والآطام بأيـــدي اليهـــود، والعدد والقوة معهم، فمكثوا ما شاء الله ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً يأمن به بعضـــهم مـــن بعض، ويمنعون به من سواهم فتحالفوا وتعاملوا. ولم يزالوا كـــذلك زمنـــاً طـــويلاً، وأثـــرت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد، وخافت قريظة والنضير أن يغلبوهم على دورهم فتنكروا لهم حتـــى قطعوا الحلف[166]. وتسلطوا على المدينة، فاستعان الأوس والخزرج بأقربائهم على اليهود، فغلبـــوهم، وصارت الغلبة للعرب على المدينة منذ ذلك العهد[167].

إن هاتين الروايتين تظهران بأن هذه السيطرة الاقتصادية لليهود على يثرب لم تصـــمد طـــويلاً أمـــام عبقرية الأوس والخزرج الاقتصادية التي تنتمي إلى العقلية اليمانية التي لها باعٌ طويل في الحضـــارة، خصوصاً في المجال الزراعي، بحيث انتقل مركز الثقل الاقتصادي تدريجاً لأيـــدي هـــؤلاء، والـــذين أصبحوا منافساً خطيراً لنفوذ اليهود، مما دفع هؤلاء اليهود لإظهار العداوة لهؤلاء القادمين الجدد.

وتحاول هذه الروايات أن تفسر هذا التغيّر في شكل العلاقة تفسيراً ساذجاً لا يخلو من الطرافة، ولكنـــه في الوقت نفسه يظهر مدى تأذي القبائل العربية من هذه السيطرة اليهودية على يثـــرب. فتعـــذو هـــذه الروايات السبب لوجود ملك يهودي مستبد وظالم، وكانت لا تهدي عروس من الحييّن حتى تدخل على "الغبطون" ملك اليهود فيكون هـــو الذي يفتضها وتحدثنا الروايـــات أن أخت مالك بن العجلان –أحـــد رجال العرب – تزوجت رجلاً من قومها، وفيما مالك في النادي إذ خرجت أخته فضلاء فنظر إليهـــا أهل المجلس فشق على مالك، فدخل وعنفها فقالت ما يصنع بي غداً أعظم، أُهدي إلى غيـــر زوجـــي، فلما أمسى اشتمل على السيف ودخل متنكراً مع النساء وقتل الغبطون وانصرف لدار قومه ..."[168].

إن هذه الرواية وعلى الرغم من الضعف البارز في ثناياها كما يرى ولفنسون في أنها لا تتناسب مـــع الطبيعة العربية التي تأبى الانحدار لهذا الدّرك من الوحشية والهمجية، مع ما هو معروف عـــنهم مـــن عزة ومنعة، والتضحية بكل شيء في سبيل العرض، وحفظ الشرف، كما أن يهود الحجاز هم أصحاب

دين سماوي ينهى عن الفحشاء والمنكر، ولا يمكن أن تسمح لهم أخلاقهم بهذه الأعمال اللاأخلاقية[169].

إن هذا الموقف من مالك بن العجلان يظهر مدى تذمر العرب من السيطرة الاقتصادية لليهود، وحدة التنافس الاقتصادي، خصوصاً التنافس التجاري، حيث دفع هذا أهل يثرب للاستعانة بالقوى الخارجية[170].

وتظهر هذه الروايات مقدار التنافس التجاري والاقتصادي بين سكان يثرب والعرب واليهود كما تظهر بوضوح مقدار النفوذ التجاري الواسع الذي وصل إليه اليهود خلال هذه الفترة.

إن سيطرة الأحباش على اليمن، والمصيبة التي لحقت باليهود هناك، والتحالف اليماني بين الأوس والخزرج وبين أبناء عمومتهم من آل جفنة في الشمال في بلاد الشام[171]، هي العوامل الأساسية التي أدت إلى تراجع السيادة اليهودية في شمال الحجاز، وبدأت كفة السيطرة السياسية تنحاز لصالح القبائل اليمانية.

إن هذا الصراع لم تكن الدولة البيزنطية بعيدة عنه، وهي التي شجعت الغزو الحبشي الحليف لها. حيث تبدوا هذه الحادثة في جوهرها صراعاً على النفوذ الاقتصادي، ومحاولة للهيمنة على طرق التجارة التي تعتبر نجران أحد فروعها المهمة والتي تتوزع منها المواصلات إلى الخليج العربي والعراق، عبر وادي الدواسر، واليمامة أو إلى الشام عبر الخط البري التقليدي الذي كان يمر في المدينة.

ويرى إبراهيم بيضون بخصوص العلاقة بين يهود الحجاز واليمن في هذه الفترة أن الفصل بين الإقليمين في هذه المرحلة لا يتفق مع طبيعة التطورات التي شهدتها المنطقة الجنوبية منذ بدايات القرن السادس الميلادي، ولعل أبرز مؤشرات هذه العلاقة هو اضطهاد حملة الحبشة لليهود والمتهودين في اليمن، دفعت بقسم كبير منهم على الأرجح للهجرة نحو الحجاز، حيث نزلوا في أحياء خاصة في يثرب، وبعض المراكز الأخرى، أو في نطاق جاليات تجارية نزلت في المدن المزدهرة كالطائف أو التجمعات الزراعية الخصبة في هذا الإقليم[172].

إن هذا التحول في شكل العلاقة كان في مصلحة عرب يثرب، وأتاح لهم المجال للظهور في قوة سياسية منافسة لليهود في المدينة، وأسهم هذا في زيادة عزلة اليهود، وساعد على زيادة الشقاق والخلاف بين طوائفهم المختلفة، والتي تعزز انقسامها بعد هذا التحول في وضعهم السياسي، وأخذت

هذه الطوائف تحاول الانحياز لجانب أحد القبائل العربية في المدينة، والتحالف معها على حساب الطوائف الأخرى.

إن هذا التراجع في مكانة اليهود لا يعني بالضرورة أنهم فقدوا مكانتهم كاملة وفقدوا سيادتهم الاقتصادية، ولكنهم حافظوا على هذه المكانة حتى ظهور الإسلام، وساعدهم في ذلك الخلافات والانقسام الذي حل بالقبيلتين الرئيسيتين في يثرب الأوس والخزرج، حيث لا يمكن أن يبرًأ اليهود من أنهم لعبوا الدور الأكبر في خلق هذا الإنقسام، وأذكاء نار الفتنة بين القبائل العربية، ويمكننا أن نفهم دوافع القتال بأن العرب كانوا باستمرار يسعون لتحطيم السيطرة الاقتصادية لليهود على المدينة، فهذا الزعيم الخزرجي عمرو بن النعمان البياضي يعُد قومه في يوم بُعاث: "والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريضة والنضير على عذب الماء وكريم النخل"[173].

إن افتقار المدينة لزعامة بارزة، كما هو الحال في مكة توظف دورها في خدمة مصالحها الاقتصادية في داخل الحجاز وخارجه[174]، وعدم التجانس السكاني، والتوتر السائد بين الجماعات اليهودية وغير اليهودية [175]، هو الذي حال دون بروز المدينة كما هو الحال في مكة، مع أنها محطة مثلها على طريق القوافل إلى الشام، وحتى أنها تملك من تنوع مصادر الثروة الاقتصادية أكثر من مكة.

وإن هذا التفسخ السياسي في المدينة هو الذي دفع سكانها من العرب لأن يسارعوا بالترحيب بالرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى المدينة، ومن منطلق التنافس الاقتصادي والخوف على المصالح، يمكن فهم موقف اليهود ومقاومتهم للدعوة الإسلامية الجديدة، التي هددت نفوذهم الذي كانوا يتمتعون به قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم، وشعورهم بأنهم سيفقدونه، حيث دفعهم هذا لإعلان المقاومة للإسلام منذ اليوم الأول لذلك كان لزاماً على الرسول صلى الله عليه وسلم ليرسي دولته الجديدة من التخلص من هذا المنافس الأول في المدينة.

ب- علاقاتهم مع المناطق المجاورة

يلاحظ أن بعض الباحثين لا يستبعدون وجود شبكة تجارية يهودية مزدهرة في هذا الوقت حيث يفسر هذا في رأيهم عدم وجود عمليات تجارية كبيرة بين مكة والمدينة"[176]. ولكن هذا الرأي لا يوجد من الشواهد والدلالات ما يؤيده مما يدفعنا للافتراض بأن اليهود كغيرهم من القبائل الموجودة على هذا الطريق التجاري الذي سيطر عليه التجار القرشيون، فكانت تقدم خدمات الأمن والحماية،

وتسهم في العمليات التجارية المتعلقة بذلك، سواء أكان ذلك أثناء مرور القوافل فـي المدينـة، حيـث يساعد هذا على قيام حركة تجارية نشطة، أم بالاشتراك فعلياً بهذه التجارة ومرافقتها.

ومما يؤسف له أن الإشارات المتوفرة لدينا عن علاقة مكة ويثرب قبـل الإسـلام قليلـة، ولا تكـوّن بمجموعها رأياً نستطيع الاستدلال بها عليه، فقريش على ما تشعرنا هذه المصادر كانت تحترم اليهود، وترى أنهم أهل الكتاب الأول[177]، وكان اليهود بالمقابل يجلون القرشيون ويعتبرونهم سـادة العـرب وملوك الناس[178].

وترد بعض الإشارات عن صلة بعض اليهود بـالمكيين ومحـالفتهم لهـم، وإقـامتهم بمكـة للاتجار[179]. ولكن هذه الإشارات لا تعطينا مبرراً نستطيع به أن نفترض بأنه كان هناك وجود واسـع لليهود في مكة. ويرى جواد علي "أنه من المرجح أنه لم تكن في مكة جالية يهودية كبيرة، حتـى لـم يرد في الآيات المكية إشارات لوجود اليهود، للاحتكاك بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن المحتمل أنه المستقرين منهم في مكة لا يتجاوزون أفراداً قلائل"[180].

كما لا يستبعد أن يكون لليهود علاقات مع الطائف التي كان بها قوم من اليهود طردوا مـن الـيمن أو يثرب، وجاءوا إلى الطائف وسكنوا بها، ودفعوا الجزية لسادتها، ومن بعضهم اشترى معاوية أموالـه بالطائف[181].

كما تذهب مصادرنا بعيداً حيث ترى أن بدايات الزراعة في الطائف كانت على أيدي هـؤلاء اليهـود "وكان قصي قد مر بيهودية بوادي القرى حين قتل المصدق فأعطته قضبان كرم فغرسـها بالطـائف فأطعمت ونفعته"[182].

ولا يستبعد أيضاً أن يكون لليهود علاقات تجارية واسعة مع بلاد الشام حيث كانوا يجلبون من هنـاك الحبوب والخمور، ويبدو أنه كانت هناك زيارات متبادلة بينهم وبين تجار بلاد الشام، فتـرد إشـارات من نزول الساقطة في الجاهلية والإسلام بالمدينة، يقدّمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش ومـا يكون في الشام"[183]. إن ندرة الإشارات المتوفرة عن النشاط اليهودي الخارجي والعلاقات الخارجيـة قبل الإسلام تجعل الصورة التي نكوّنها عن ذلك باهتة كثيراً.

الخــاتمــة

المحصلة النهائية التي يمكن لنا أن نستخلصها من ملاحظتنا للنشاط اليهودي في الحجاز هو أن هؤلاء اليهود مثلهم مثل غيرهم من سكان الحجاز مارسوا الأعمال الاقتصادية المألوفة وخصوصاً العمل في الزراعة، حيث إن اليهود استوطنوا أصلاً في أهم الواحات الزراعية في منطقة الحجاز وسيطروا على هذه الواحات سيطرة تامة إلى الحد الذي تعتبرهم مصادرنا بأنهم أول من سكن هذه البلاد، وقام بين هذه القبائل اليهودية والقبائل العربية التي جاورتهم خصوصاً في يثرب تنافس اقتصادي واسع قد يشعرنا بتأذي هذه القبائل العربية التي هاجرت من اليمن بعد خراب سد مأرب من هذه السيطرة الاقتصادية لليهود في الحجاز، ويظهر أنهم استعانوا بقوى خارجية للحد من هذه السيطرة.

إن الموقع الممتاز على طرق القوافل التجارية القادمة من اليمن إلى شمال بلاد الشام لهذه الواحات الزراعية التي استوطن بها اليهود سواءً أكان في يثرب أم خيبر أم فدك أم وادي القرى أم تيماء جعلت اليهود أيضاً يلعبوا دوراً نفترض أنه لم يكن قليلاً في النشاط التجاري في الحجاز ويبدو أنهم كانوا يسهمون في عمليات البيع والشراء والتبادل التجاري مع هذه القوافل التجارية ، ولكن تبقى معلوماتنا عن هذا النشاط التجاري اليهودي قليلة، لا تكون بمجموعها صورة واضحة المعالم، وتظل افتراضات لها ما يبررها من الإشارات الواردة في مصادرنا، ويمكن القول إن عداء هؤلاء اليهود للدعوة الإسلامية حال دون وصول أخبارهم إلينا ولكننا نستطيع القول بأن اليهود مارسوا مختلف العمليات الاقتصادية، التي كانت تمارس في تلك الفترة. ولا نستطيع أن نحصرهم في ممارسة مهن معينة بالرغم من أنهم تفوقوا ببعض منها، كما لم تكن ممارسته العمليات الربوية حكراً على هؤلاء اليهود، بل كانت ممارسات عامة في زمانهم برزوا في بعض منها.

وأخيراً لابد من القول بأنني حاولت في هذا البحث أن أقدم صورة واضحة المعالم لمختلف جوانب النشاط الاقتصادي اليهودي، وصورة مبسطة عن علاقات هؤلاء اليهود الداخلية في يثرب والتي امتازت بالتنافس والنزاع سواء أكان قبل الإسلام أم بعده. والتي لا تخلو من دوافع اقتصادية، وتظهر عدم الرضا من قبل القبائل العربية على هذا التفوق اليهودي وهذه السيطرة على الأراضي الخصبة في يثرب، وما لعبه هؤلاء اليهود من دور في إذكاء نار الخلاف بين القبيلتين الأساسيتين في يثرب (الأوس والخزرج) حتى لا توحد وجهات نظرها في مقاومة اليهود واستمر هذا التنافس حتى استطاع

الرسول أن يجلي هؤلاء اليهود عن يثرب، وأكمل خطوته هذه عمر بن الخطاب حيث أبعدهم عن الحجاز كلياً.

أما بالنسبة للعلاقات الخارجية بين اليهود والمناطق المجاورة فتبقى ناقصة إلى حد كبير لعدم توفر الإشارات التي تدعم افتراضنا بوجود مثل هذه العلاقات .

الحـــواشـــي

(1) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح، (ت 375 هـ)، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، بيروت، مكتبة خياط 1906، ص69. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، (ت 626 هـ)، "معجم البلدان"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1979، ج^2 ، ص218-219.

(2) الأصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت 350 هـ)، "المسالك والممالك"، تحقيق محمد جابر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1961، ص21.

(3) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت 300 هـ)، "المسالك والممالك"، ليدن، مطبعة بريل، سنة 1967، ص128.

(4) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، (ت 367 هـ)، "صورة الأرض"، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص38. ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح، يوسف بن يعقوب، ت(690 هـ)، "صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المتبصر"، تصحيح أوسكرلوفغربن، ليدن بريل، 1951، جزءان، ج^1 ، ص39 – 40.

(5) البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ)، "معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع"، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 4 أجزاء، 1945م، ج^1 ، ص11. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج^2 ، ص219.

(6) الشريف، أحمد إبراهيم، "مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول"، دار الفكر العربي، دار وهدان للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1965، ص13.

(7) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (1283)هـ، "آثار البلاد وأخبار العباد"، بيروت، دار صادر، 1960، ص84.

(8) المسعودي، علي بن الحسن، ت (346)هـ، "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، الطبعة الأولى، بيروت 1965، ج^2 ص35.

(9) الهمداني، الحسن بن أحمد، ت (334)هـ، "صفة جزيرة العرب"، تحقيق محمد عبد الله النجداوي، القاهرة 1953، ص50.

(10) البكري، "معجم ما استعجم"، ج[1]، ص9.
(11) الحوراني، جورج فضلوا، "العرب والملاحة في المحيط الهندي"، ترجمة يعقـوب بكـر، مكتبـةالأنجلو المصرية، القاهرة ط1، 1958، ص58.
(12) الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة، ص16-17.
(13) اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح، ت (292 هـ)، "تاريخ اليعقوبي"، بيروت دار صـادر، مجلـدان، ج[2] ، ص52.
(14) السمهـودي، نـور الدين علـي بن السيـد الشـريف أبـو المحـاسن أحمـد الشافـعي، ت(911 هـ)، "وفا الوفا بأخبار دار المصطفى"، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، 1326هـ، ج[1] ، ص162. وانظـر: درادكة ، صالح موسى . " العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفـاء الراشـدين " ، الاهليـة للنشـر والتوزيع ، عمان ، 1992م ، ص 98 – 99 .
(15) المصدر نفسه، ج[1] ، ص162.
(16) السامرائي، خليل إبراهيم، "المظاهر الحضارية للمدينة المنورة وعصر النبوة"، منشورات مكتبة البسـام، الموصل، الطبعة الأولى، 1984 ، ص17.
(17) الشريف، مكة والمدينة، ص 304-309.
(18) علي، جواد، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، دار المعلم للملايين، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعـة الأولى، بيروت، 1970، ج[6] ص513.
(19) البلاذري، أبو الحسن يحيى بن جابر، ت (279)هـ، فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1978 ص29.
(20) الأصفهاني، أبو الفرج، "كتاب الأغاني"، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافـة، بيـروت، الطبعـة الأولى، 1960، ج[22] ، ص99.
(21) ولفنسون، إسرائيل، "تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام"، لجنة التأليف والترجمـة والنشر، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة الأولى 1927، ص 10.
(22) الطبري، محمد بن جرير – ت (310)هـ، "تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ج [1] ، ص289، السمهودي، وفا الوفا، ج[1]، ص160.
(23) بيضون، إبراهيم،"الحجاز والدولة الإسلامية"، المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيـع، الطبعـة الأولى،بيروت،لبنان، 1983،ص41-42.
(24) ابن حوقل، صورة الأرض، ص37.وانظر:مهران ، محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القـديم ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض،1397هـ/1977م ،ص 448 – 450.
(25) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج[5] ص82.

(26) الشريف، مكة والمدينة، ص287–288.
(27) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج22 ص99.
(28) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5 ص234. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، ت (290)هـ، "الأعلاق النفيسة"، دي غويا، ليدن، 1891، ص61. السمهودي، "وفا الوفا"، ج1 ص160–161.
(29) الشريف، مكة والمدينة، ص297. درادكة ، العلاقات ، ص 116 .
(30) ابن سعد، محمد بن سعد، ت (230)هـ، "الطبقات الكبرى"، دار بيروت، دار صادر بيروت 1957، بلا طبعة، ج1 ص279.
(31) انظر : السمهودي ، وفا الوفا ، جـ 1 ، ص 161– 165 . جواد علي ، المفصل ، جـ 6، ص519. درادكة ، العلاقات ، ص 116–118 . السامرائي، المظاهر الحضارية للمدينة، ص18.
(32) السمهودي، وفا الوفا، ج1 ص159–165. الشريف، مكة والمدينة ص296.
(33) الواقدي، المغازي، ج2 ، ص703.
(34) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ، ص409.
(35) البكري، معجم ما استعجم، ج1 ، ص327.
(36) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ، ص338. وانظر : درادكة ، العلاقات ، 114–115 .
(37) المصدر نفسه، ج2 ، ص67.
(38) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1 ، ص276.
(39) المصدر نفسه، ج1 ، ص 279.
(40) المصدر نفسه، ج1 ، ص279.
(41) البلاذري، فتوح البلدان، ص63. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ، ص10.
(42) انظر : درادكة ، العلاقات ، ص 124–125 .
(43) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1 ، ص72–73.
(44) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6 ص530.
(45)ابن هشام ، السيرة ، جـ 2 ،ص 428 ، جـ 3 ، ص 259 .(تحقيق محي الدين عبد الحميد). اليعقوبي، تاريخ ، جـ 2 ، ص 52 . وانظر : الشريف ،المدينة ، ص 294 . مهران ، تاريخ العرب ، ص 450 . العمري ، اكرم ضياء . المجتمع المدني في عهد النبوة ، احياء التراث الاسلامي، السعودية ، 1983م ، ص 59 .
(46) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ 2 ، ص 56 .
(47) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5 ، ص83.
(48) السمهودي، وفا الوفا، ج2 ، ص218–291.

(49) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج^{5} ، ص82.
(50) السمهودي، وفا الوفا، ج^{2} ، ص120.
(51) المصدر نفسه، ج^{2} ، ص121.
(52) المصدر نفسه، ج^{2} ، ص125.
(53) ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، ت (276)هـ، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1969، ص83.
(54) البخاري، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج^{3} ، ص111.
(55) السمهودي، وفا الوفا، ج^{2} ، ص121–127.
(56) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج^{13} ، ص18.
(57) الشريف، مكة والمدينة، ص257.
(58) البخاري، صحيح، ج^{3} ، ص63–137. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، "نظام الحكومة المدنية المسمى التراتب الإدارية"، تحقيق حسن جعين، بيروت، جزءان، دار الكتاب العربي، ج^{1} ، ص400–403. السمهودي، وفا الوفا، ج^{2} ، ص155.
(59) البخاري، صحيح، ج^{3} ، ص78.
(60) الخزاعي التلمساني، أبو علي الحسن بن محمد، ت (789)هـ، "تخريج الدلالات السمعية"، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981، ص669.
(61) الشريف، مكة والمدينة، ص357.
(62) الواقدي، محمد بن عمر، ت (207)هـ، "كتاب المغازي"، تحقيق مارسدن جوينز، عالم الكتب، بيروت، (بلا طبعة وتاريخ)، ج^{1} ، ص289.
(63) البلاذري، فتوح، ص32.
(64) الواقدي، المغازي، ج^{2} ، ص690.
(65) البلاذري، فتوح البلدان، ص36.
(66) الواقدي، المغازي، ج^{2} ، ص729.
(67) المصدر نفسه، ج^{2} ، ص644.
(68) المصدر نفسه، ج2 ، ص644.
(69) ياقوت الحموي، معجم، ج^{2} ، ص
(70) البخاري، صحيح، ج^{5} ، ص178.
(71) الواقدي، المغازي، ج^{2}، ص693.
(72) ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة، ج1 ، ص177.

(73) الشريف، أحمد، "دور الحجاز في الحياة السياسية والعامة في القرنين الأول والثـــاني للهجـــرة"، ص60. سلام، شافعي محمود سلام، "النشاط الزراعي في خيبر"، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989م، ص26.

(74) ابن كثير، السيرة النبوية، ج3 ، ص383.

(75) البكري، معجم ماستعجم، ج2، ص523.

(76) الواقدي، المغازي، ج2 ، ص693.

(77) المصدر نفسه، ج2، ص664.

(78) الشريف، مكة والمدينة، ص358.

(79) سلام، النشاط الزراعي، ص27.

(80) السهيلي، الروض الأنف، ج6 ، ص527.

(81) الشريف، مكة والمدينة ، ص358.

(82) ابن قتيبة، ،(ت 276 هــ)، "عيون الأخبار"، الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب، القـــاهرة، 1973، ج3 ، ص270.

(83) عروة بن الزبير، "مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ص195. الحلبي، "إنسان العيـــون وســـيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية"، بيروت، 1980م، ج2 ، ص751.

(84) ابن الفقيه الهمداني، كتاب البلدان ، ص25.

(85) ابن هشام، عبد الملك، ت (213)هــ، "السيرة النبوية"، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، 4 أجـــزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج2 ، ص 164.

(86) البخاري، صحيح، ج3 ، ص107.

(87) الشريف، مكة والمدينة، ص359.

(88) البخاري، صحيح، ج3 ، ص85-87.

(89) ابن هشام، السيرة، ج3 ، ص233-234.

(90) ولفنسون، تاريخ اليهود ، ص17.

(91) السمهودي، وفا الوفا، ج1 ص159-165. الشريف، مكة والمدينة، ص296. هيكل، في منزل الـــوحي، ص618.

(92) السامرائي، المظاهر الحضارية للمدينة، ص19.

(93) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص116.

(94) سورة الحشر، آية 14.

(95) السمهودي، وفا الوفا، ج2 ص158. العلي، صالح أحمد، خطط المدينة المنورة، مجلة العرب، عـــدد12، أيلول 1967، الرياض، ص1074.

(96) الواقدي، المغازي، ج[1] ، ص184. الطبري، تاريخ، ج[2] ، ص487.
(97) السمهودي، وفا الوفا، ج[1] ، ص163.
(98) المصدر نفسه، ج[1] ، ص164.
(99) المصدر نفسه، ج[1] ، ص164-165.
(100) الطبري، تاريخ، ج[2] ، ص505-568.
(101) البلاذري، فتوح، ص38-39.
(102) ياقوت، معجم البلدان، ج[2] ، ص49.
(103) المصدر نفسه، ج[2] ، ص67.
(104) الشريف، مكة والمدينة، ص275.
(105) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845 هـ)، إمتاع الأسماع، تصحيح محمود محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1941، ج[1] ، ص245.
(106) الخزاعي، الدلالات السمعية، ص115-116.
(107) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب، ص404.
(108) أحمد الشريف، مكة والمدينة، ص277.
(109) أحمد با شميل، غزوة بني قريضة، ص47.
(110) الواقدي، المغازي، ج[1] ، ص138-139.
(111) الشريف، مكة والمدينة، ص277.
(112) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج[21] ، ص62.
(113) الواقدي، المغازي، ج[2] ، ص671.
(114) المصدر نفسه، ج[2] ، ص673.
(115) السمهودي، وفا الوفا، ج[1] ، ص198.
(116) الخزاعي، الدلالات السمعية، ص401
(117) المصدر نفسه، ص676-677.
(118) الواقدي، المغازي، ج[2] ، ص510.
(119) المصدر نفسه، ج[1] ، ص142.
(120) ابن سعد، الطبقات، ج[3] ، ص54.
(121) ابن سعد، الطبقات، ج[1] ، ص212. البخاري، صحيح، ج[3] ، ص61.
(122) الخزاعي، الدلالات السمعية، 665-668.
(123) الشريف، مكة والمدينة، ص378.

(124) سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب والدولة العربية، ج2 ، ص140.
(125) بيضون، إبراهيم، دور الحجاز، ص24. جواد علي، المفصل، ج7 ، ص392.
(126) الشريف، مكة والمدينة، ص364.
(127) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 241. سورة النور، الآية 160. سورة الجمعة، الآية 9-11.
(128) محمد أحمد باشميل، غزوة بني قريضة، ص45-47.
(129) الطبري، تاريخ، ج2 ، ص479.
(130) السمهودي، وفا الوفا، ج1 ، ص212-213. العلي، خطط المدينة، ص1163-1165.
(131) السمهودي، وفا الوفا، ج2 ، ص747-748. الكتاني، التراتب الإدارية، ج2 ، ص163. العلي، خطط المدينة، ص1118.
(132) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2 ، ص294، الطبري، تاريخ، ج2 ، ص479.
(133) البخاري، صحيح، ج3 ، ص12-13.
(134) الواقدي، المغازي، ج1 ، ص176-177.
(135) البخاري، صحيح، ج3 ، ص19-30.
(136) العلي، خطط المدينة المنورة، ص1118.
(137) السمهودي، وفا الوفا، ج2 ، ص747-478.
(138) السمهودي، وفا الوفا، ج1 ، ص544-545. البخاري، صحيح، ج3 ، ص62.
(139) انظر : درادكة ، العلاقات ، ص 151 .
(140) السامرائي، المظاهر الحضارية، ص26.
(141) الشريف، مكة والمدينة، ص366.
(142) عوض الله، أحمد أبو الفضل، مكة في عصر ما قبل الإسلام، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، الطبعة الأولى، 1978، ص131-132.
(143) الطبري، تاريخ، ج2 ، ص57. الواقدي، المغازي، ج1 ، ص65.
(144) عوض الله، مكة في عصر ما قبل الإسلام، ص132.
(145) البخاري، صحيح، ج3 ص68. الخزاعي، الدلالات السمعية ص644.
(146) البخاري، صحيح، ج3 ص71-72.
(147) المصدر نفسه، ج3 ص71-73.
(148) السمهودي، وفا الوفا، ج1 ، ص546.

(149) النسيئة : وهو ان العرب اعتمدت نظاما لكبس السنة القمرية حتى توافق شهورها شهور السنة الشمسية تقريبا ، وهذا ما سمي النسئي . سحاب، فكتور . " ايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف "المركز الثقافي العربي، بيروت ، 1992م .ص 330 .
(150) البخاري، صحيح، ج[3] ، ص110.
(151) المصدر نفسه، ج[3] ، ص112.
(152) ابن سعد ، الطبقات ، جـ 1، ص 78 .
(153) البخاري ، صحيح ، ج[3] ، ص186-187.
(154) المصدر نفسه، ج[3] ، ص110.
(155) الشريف، مكة والمدينة، ص368.
(156) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 161.
(157) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 131.
(158) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 275-276.
(159) البخاري، صحيح، ج[2] ، ص116.
(160) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص18.
(161) جواد علي، المفصل، ج[6] ، ص535-536.
(162) البلاذري، أنساب الأشراف، ج[1] ، ص72-73.
(163) ابن قتيبة، المعارف، ص67. السمهودي، وفا الوفا، ج[1] ، ص174.
(164) الشريف، مكة والمدينة، ص315.
(165) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج[19] ، ص96.
(166) السمهودي، وفا الوفا، ج[1] ، ص83.
(167) المدني، توفيق، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، مجلة دراسات 1997، من موقع File:llA:]1997.HTM.
(168) المصدر نفسه، ج[1] ، ص84.
(169) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص84.
(170) انظر : الأصفهاني، الأغاني، ج[19] ، ص97.
(171) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص84.
(172) بيضون، دور الحجاز، ص42.
(173) الأصفهاني، الأغاني، ج[15] ، ص154-159.
(174) بيضون، دور الحجاز، ص44.

(175) محمد عبد الحي شعبان، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص20.
(176) المرجع نفسه، ص20.
(177) ابن هشام، السيرة النبوية، ج[1] ، ص330.
(178) المصدر نفسه، ج[1] ، ص431.
(179) ابن سعد، ج[1] ، ص144. البلاذري، أنساب الأشراف، ج[1] ، ص172-173.
(180) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص235.
(181) البلاذري، فتوح، ص68.
(182) البلاذري، أنساب، ج[1] ، ص27.
(183) الواقدي، المغازي، ج[1] ، ص16.

المصادر والمراجع

أ – المصادر

1- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (356 هـ/966 م)، كتاب الأغاني، تحقيق عبد الستار فراج، دار الثقافة، بيروت الطبعة الأولى، 1960.
2- الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي، ت(350 هـ/961 م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1960.
3- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (256 هـ/869 م)، صحيح البخاري، دار أحياء التراث العربي بيروت، لبنان.
4- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت(487 هـ/1094 م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 4 أجزاء، 1945.
5- البلاذري، أبي الحسن يحيى بن جابر، ت (279 هـ/892 م)، فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1978م، أنساب الأشراف، الجزء الأول تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربية، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى 1959م.
6- الحلبي، ت (1044 هـ/1635 م)، "إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية"، بيروت، 1400 هـ/1980 م، الجزء الثاني.
7- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي 300 هـ/912 م)، المسالك والممالك، بغداد مكتبة المثنّى.
8. الخزاعي التلمساني، أبو علي الحسن بن محمد ت(789 هـ/1387 م)، تخريج الدلالات السمعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى 1981م.
9. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، ت (367 هـ/977 م)، صورة الأرض، بيروت دار مكتبة الحياة.

10- الديار البكري، حسن بن محمد بن الحسن، ت (966 هـ/1558 م)، تاريخ الخميس، الطبعة الأولى 1302هـ القاهرة، مطبعة عثمان عبد الرازق 1884م.

11- ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر، ت (290 هـ/902 م)، الأعلاق النفيسة، دي غويا، لندن 1891م.

12- ابن الزبير، عروة، ت (93 هـ/ 711 م)، "مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم"، جمع وتحقيق محمد الأخطى، ط1، منشورات مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، 1401 هـ/1981 م).

13- ابن سعد، محمد بن سعد، ت (230 هـ/845 م)، الطبقات الكبرى، دار بيروت، دار صادر، بيروت، 1957م.

14- السهيلي، ت (581 هـ/ 1185 م)، "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، 390 هـ/1170 م، الجزء السادس.

15- السمهودي، نور الدين علي بن السيد الشريف الشافعي، ت (911 هـ/1979 م)، وفا الوفا، بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر 1326هـ.

16- ابن شبة، ت (262 هـ/875 م)، "تاريخ المدينة المنورة"، أربعة أجزاء، تحقيق فهيم شلتوت، دار الأصفهاني، جدة، 1399 هـ/1979 م).

17-الطبري، محمد بن جرير، ت (310 هـ/923 م)، "تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق مجمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف (بدون تاريخ).

18- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، ت (276 هـ/889 م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، القاهرة 1969م.

- "عيون الأخبار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973م.

19- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، ت 682 هـ/1283 م، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت دار صادر 1960م

20- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، ت (1345هـ/1926 م)، نظام الحكومة المدنية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، تحقيق حسن جعين، جزءان دار الكتاب العربي.

21- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، ت (774 هـ/1373 م)، البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1932م.

22- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، ت (690 هـ/1291 م)، "صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المتبصر"، تصحيح أوسكار لوفغرين، ليدن بريل، جزءان 1951م.

23- المسعودي على بن الحسن، ت (346 هـ/957 م)، "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، الطبعة الأولى، بيروت 1965م.

24- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري، ت (375 هـ/985 م)، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، بريل، 1906م.

25- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (845 هـ/1441 م)، "إمتاع الأسماع"، تصحيح محمود محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى 1941م.

26- ابن هشام، عبد الملك، ت (218 هـ/833 م)، "السيرة النبوية"، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، 4 أجزاء، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

27- الهمداني، الحسن بن أحمد، (334 هـ/946 م)، "صفة جزيرة العرب"، تحقيق محمد عبد الله النجدي، القاهرة، 1953م.

28- الواقدي، محمد بن عمر، ت (207 هـ/822 م)، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونز، 4 أجزاء، عالم الكتب، بيروت، بلا طبعة وتاريخ.

29- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، ت (626 هـ/1228 م)، "معجم البلدان"، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1979م.

30- اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح، ت (284 هـ/897 م)، "تاريخ اليعقوبي"، مجلدان، دار صادر، بيروت، 1960م.

ب- المراجع

1- باشميل، محمد أحمد.، "غزوة بني قريظة"، الطبعة الأولى، دار الكتب، بيروت، 1966م.

2- بيضون، د. إبراهيم، "الحجاز والدولة الإسلامية"، المؤسسة الجامعية للدراسات، والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1983م.

3- الحوراني، جورج فضل، "العرب والملاحة في المحيط الهندي، في العصور القديمة"، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، 1958م.

4 – درادكة ، صالح موسى، "العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين " الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1992م .

5- سالم، السيد عبد العزيز، "تاريخ العرب والعصر الجاهلي"، دار النهضة العربية، مصر، الطبعة الأولى، 1971م.، – دراسات في تاريخ العرب والدولة العربية.

6- السامرائي، خليل إبراهيم، "المظاهر الحضارية للمدينة المنورة وعصر النبوة"، منشورات البسام، الطبعة الأولى، الموصل، 1984م.

7 – سحاب ، فكتور ، " إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف " المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م .

8- سلام، سلام شافعي محمود، "النشاط الزراعي في خيبر في الجاهلية وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب"، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989م.

9- الشريف، أحمد إبراهيم، "دور الحجاز في الحياة السياسية والعامة"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م.

– "مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول"، دار الفكر العربي، دار وهران للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1965م.

10- شعبان، محمد عبد الحي، "تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية"، الدار المتحدة للنشر والتوزيع.

11- العقيلي، محمد أرشيد، "اليهود في الجزيرة العربية"، الطبعة الوطنية، عمان، 1980م.

12- علي، جواد، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى، بيروت 1970م.

13 -العمري ، اكرم ضياء، "المجتمع المدني في عهد النبوة " ، احياء التراث الاسلامي ، السعودية ، 1983م .

14- عوض الله، أحمد أبو الفضل، "مكة في عصر ما قبل الإسلام"، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، الطبعة الأولى، 1978م.

15- مهران ، محمد بيومي ، " دراسات في تاريخ العرب القديم " ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض،1397هـ/1977م .

16- هيكل، محمد حسين، "في منزل الوحي"، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1975م.

17- وات، مونتفجري، "محمد في المدينة"، تعريب سفيان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، بدون طبعة.

18- ولفنسون، إسرائيل، "تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام"، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد، الطبعة الأولى، 1927م.

ج- الدوريات

1- العلي، صالح أحمد، "خطط المدينة المنورة"، مجلة العرب، عدد 12، أيلول 1967م، الرياض.

2- المدني، توفيق، "المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، مجلة دراسات 1997، (File:11A:]1997.htm.).